

طاجيكستان: جمال الحجر والبشر



نهر خانكا



قلعة هيسار



إحدى قاعات الشاي خاتة

بالفن والادب. تحتوي البلاد على سوق قديمة كرس رواه انفسهم لتقديم كل ما هو قديم وجديد من الكتب على حد سواء. وجدت هناك كنزا جميلا متمفلا في نسخة من القرآن الكريم مكتوبة بخط اليد حيث يعود تاريخ نسخها الى ما يقارب 800 الى 900 سنة مضت. تمكنت ايضا من رؤية كل من الشعراء حافظ وجلال الدين الرومي والعلامة اقبال. اعتبر الرجل الذي باع الكتب كلا من هؤلاء الشعراء من الطاجيك، وفي تبادل لطيف للكلام، تكرت «اقبال» سائلة آياه: «الديك كتب اقبال؟».

فرد الرجل: «نعم، انه شاعر طاجيكي». فقلت له بهدوء «لا، انه باكستاني»، وأصر الرجل على طاجيكية الشاعر اقبال الامر الذي جعلني ابتسم واجد اعتقادي الراسخ بان اقبال لم يكن مجرد الشاعر الباكستاني، بل اهميته تجاوزت الحدود ايضا.

يحثل الشعراء مكانة عميقة في قلوب الطاجيك، ومما يدل على ذلك وجود حديقة سميت باسم الشاعر محمد رودكي في شارع مبنى البرلمان الذي يقع في ساحة العاصمة. كما يوجد في وسط حديقة تمثال تكريما له، على الرغم من اعتبار رودكي كشاعر فارسي عظيم، الا انه ولد في قرية رودك المتوضعة حاليا ضمن الحدود الطاجيكية. أصبح رودكي شاعر البلاط للحاكم نصر الثاني في الامبراطورية السامانية منذ سن مبكرة.

بالنسبة لأولئك المهتمين بأمور الطهي، ستكون لديهم تجربة فريدة من نوعها مع المواد الغذائية في طاجيكستان، بالإضافة الى الأطباق المتنوعة التي تشمل البولو الشهير على سيديل المثال، حيث تستضيف طاجيكستان سوق الفاكهة الجميل المشهور بغمارة المحففة. يمكن للمسافرين الاطلاع على العديد من خيارات المنتجات الصحية غارم تشاشما، البنبايع الساخنة التي تتميز بخصائصها العلاجية الرائعة، ويمكن الجلوس في قلب هذه التلال الخالية، وقد تحظى ايضا ببعض الخصوصية فيها حيث خصصت أماكن فيها للنساء وأخرى للرجال.

إذا ما طلب أحدهم نصيحتي في قضاء الإجازة المقبلة، فلن أتردد في دعوتهم للذهاب الى طاجيكستان، ليس مرة واحدة أو مرتين، ولكن أود أن أقول لهم عشرات المرات، على أي شخص يفكر في قضاء عطلة في مكان ما جديد ومثير، اقترح ان تعيش مغامرة الذهاب الى هذه البلاد الساحرة بجمالها ومغامراتها وبهجتها. طاجيكستان، وجهتك التي لا تخيب.



سفير طاجيكستان والزميلة زيبا رفيق وزوجها نائل السيف



تمثال الشاعر رودكي

المنقوشة بشكل تقليدي. بصرف النظر عن المبنى نفسه، كانت هناك ايضا مكتبة كبيرة الى حد ما قبل أن يتم تحويلها الى متحف في المدرسة الدينية القديمة، معظم الكتب التي حوتها المكتبة دارت في فلك العلوم الدينية. ليس يبعد عن مبنى المدرسة الدينية القديمة هناك المدرسة الدينية الجديدة التي لم يتبق منها سوى واجهة مؤلفة من طابقين فقط. تم بناء المدرسة الدينية الجديدة بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ولكنها دمرت تماما تقريبا اثناء الحرب الأهلية. اضافة الى الآثار التاريخية، تشمل البلاد معالم أخرى معاصرة كسد توريك الذي يقع على نهر فاخش، يعد هذا السد ذو المظهر الخلاب محطة توليد للطاقة مستخدما الطاقة الكهرومائية، ويمكن الملاحظة بشكل جلي كيف يلتقي في هذا المكان جمال الطبيعة مع مهابة العلم، كما أنه يعتبر كرمز جميل لكيفية تناغم الأشياء مع بعضها في هذا البلد.

تعنتي طاجيكستان بماضيها الى حد كبير وخاصة فيما يتعلق

تعلما القرآن الكريم واللغة العربية واحاديث النبي ﷺ وعلم الكلام والشريعة وتاريخ الإسلام، ووفقا لمعايير آسيا الوسطى كانت المدرسة الدينية القديمة كبيرة نوعا ما، إذ كان يبلغ عدد مرثادها ما يصل لنحو 150 طالبا. وتتشكل المدرسة الدينية القديمة من مبنى مستطيل الشكل من الطوب المتوج بقبة في اعلاه، ويمكن للزوار ان يروا حلقات الطلاب الممتدة على طول محيط الساحة الداخلية الفسيحة بمجرد وصولهم اليها، وجرت العادة ان تكون هناك حديقة صغيرة وليوان للتلاميذ والمعلمين في ساحات القرون الممتدة من السادس عشر حتى التاسع عشر، وكانت المدرسة الدينية القديمة تضم الى جانب الحجر السكنية غرافا صافية اضافة للمسجد الذي يعتبر السمة البارزة لأي مدرسة دينية قديمة، ويقع كل من المسجد ذي القبة والغرف الصغية مقابل بوابه المدخل للمبنى الرئيسي، وكان الديكور الداخلي للمدرسة الدينية القديمة بسيطا جدا، فقد زينت النوافذ بالابواب الخشبية المنحوتة والشبكات



مؤسس الدولة إسماعيل ساموني والذي سمي على اسمه عملة الدولة

ومثيرا للاعجاب. هناك العديد من الاساطير الرومية من قبل السكان المحليين ارتبطت بحكاياتها بهذه القلعة، تتناول احدها قصة كيفية بناء القلعة من قبل افراسياب بغرض درء خطر جيوش رستم (الذين كانا يطلان من نوي السمعة السنية حسبما ورد في كتاب شاهنامه لمؤلفه فردوسي)، ووفقا للاسطورة الاخرى جاء الخليفة الصالح علي الى هذه الاماكن على حصان لنشر الدعوة الاسلامية ونزل على الجبل الى الغرب من هيسار، متذكرا بزي البهلوان، ليشق طريقه من الجبل الى القلعة، ونتيجة تعرف احد الأشخاص على هويته هناك تم إلقاء القبض عليه وسجنه، ولكن فرسه النبيل قاد الى سيف ذو الفقار الذي من خلاله تمكن من هزيمة جميع اعدائه بمن في ذلك الاشرار الذين كانوا يملكون القلعة في ذلك الوقت. تتموضع مقابل مدخل قلعة هيسار المدرسة الدينية القديمة التي بنيت في القرن السابع عشر، خرجت المدرسة الدينية القديمة العلماء ومفتي رجال الدين ممن

العلاجات العشبية

التقيت بامرأة أطلعتني على العلاجات العشبية المحلية الصنع المتوفرة لديها، شملت الأعشاب علاجات لحب الشباب والطفح الجلدي الى غيرها من الأمراض. تنكرت عند رؤيتي للعمل الذي تقوم به العلاجات المنزلية التي كانت والدتي تعلمني اياها في مراحل نموي المبكرة، خلال تواجدي هناك، ورغم كل ما انف ذكره يمكنني القول ان أكثر ما رسم ملامح جمال طاجيكستان في داخلي هو طبيعة الناس الذين تميزوا بالكرم والانفتاح الى جانب عدم ترددهم بمشاركة ثقافتهم وتراثهم وتقاليدهم الشفوية والفولكلور مع الآخرين، وكانوا جميعهم لطفاء معي من أكبرهم قدرا الى اصغرهم سنا، لقد استمتعت حقا بصحبتهم إذ كونت صداقة جيدة معهم.

زيبا رفيق
mz.zeeba@hotmail.com
@zeeba_rafiq

بدعوة كريمة من سفير طاجيكستان لدى الكويت السفير زيد الله زبيدوف تمت دعوتي الشهر الماضي للانضمام الى وفد الكويت لعيش متعة زيارة بعض من عجائب طاجيكستان، وقد استضيف الوفد في فندق الشيراتون الرائع الذي يقع وسط المدينة لعاصمة البلاد دوشنبه التي يفصل بينها وبين مطارها الدولي خمس دقائق فقط. وتعني كلمة دوشنبه بشكل حرفي «بعد يومين من يوم السبت»، نسبة ليوم الاثنين الذي تزامنت بدايته مع انطلاقة فعاليات التسوق في بازار الاثنين. ويمتاز الفندق بالعديد من عوامل الجذب التجارية والديبلوماسية والسياحية نظرا لموقعه الفريد بالقرب من طريق الحرير الذي كان يشكل نقطة تلاقح بين الشرق والغرب جنبا الى جنب مع بعض المسائل الروسية والإسلامية.

يشكل كل من الفنادق وقرب الثقافات وتأثيراتها على بعضها البعض ايقونة جميلة لطاجيكستان التي تعني «أرض الطاجيك»، لا يزال هناك عدد من الدراسات المتشجورة حول اكتشاف الهوية الأصلية للطاجيك لا سيما أن هناك خلافات سياسية حول ما إذا كانت جذور هذا الشعب تعود لأصول تركية أم الإيرانية. يجد البلاد باكستان والصين شرقا وأفغانستان جنوبا وأوزبكستان غربا وقرغيزستان من الشمال.

كونها جزءا من طريق الحرير يتمتع تاريخ طاجيكستان بامتياز للحضارات حيث كان الناس من جميع الأعراق والألوان يلتقون هناك. ومما يجدر ملاحظته أن خطوط هذا التمازج قد امتدت الى يومنا هذا مع توسع شهرة البوصلة السياحية لطاجيكستان بالإضافة الى إمكانية الاستثمار الأجنبية تحت قيادة الرئيس امام علي رحمن والبرلمان.

على الرغم من البرودة التي كانت تغلب على الطقس خلال تواجدي مع بقية افراد الوفد هناك، إلا أنه كان مليئا بالحيوية. فقد كسا غطاء نلجي جميل معظم أنحاء البلاد مما جعلها وجهة رائعة للتزلج. قمت بالجول في أجزاء شتى من البلاد حسب أهمية مواقعها وخلصت الى نتيجة أنها بلاد العجايب الشتوية بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

خلق نصهار الحضارات الجديدة والقديمة في طاجيكستان عجائب كثيرة ولدت الحرص والاهتمام داخل الجميع لزيارتها. لعشاق التاريخ على سبيل المثال نصيبهم من السحر والدهشة عند زيارة مدينة هيسار الواقعة في غرب طاجيكستان. يقسم نهر خانكا تلك المدينة الى جزئين مشكلا بذلك



أطول سد في العالم



مبنى البرلمان والمكتبة الوطنية